بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 68 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:09\01\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

بقي لدينا في هذه الآية المباركة التي نبحث عنها المقطع الأخير منها، وهو قوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾.

بدواً تكون هذه الآية ظاهرة بأنها بشّرت وشوّقت الأبرار بما يلبسون في الجنة ﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُس﴾ وبشرتهم بالزينة التي يتزينون بها، وبشرتهم وشوقتهم بالشراب الذي يسقونه.

إذاً لباس وزينة بالحلل وشراب، هذا هو الظهور البدوي الأولي لهذه الآية المباركة.

بالنسبة لهذا المقطع الثالث يوجد محطات تفسيرية ينبغي أن نقف عندها:

المحطة الأولى: ترتبط بقوله: ﴿طَهُوراً﴾ هذا التعبير بالطهور تكرر في القرآن الكريم مرتين، مرة في هذه الآية، وجُعلت طهوراً وصفاً للشراب، ومرة في قول تبارك وتعالى في سورة الفرقان، حيث جعل الطهور وصفاً للماء، قال: ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾[1].

لا شك بحسب صيغ اللغة العربية أن طهور صيغة مبالغة، فهذا لا يختلف فيه أحد، غاية الأمر هذه المبالغة تارة من حيثية الشدة في طهارته، أي هذا الشيء الذي يتصف بكونه طهوراً هو أطهر من غيره؛ إذ أن الطهارة من الأمور التشكيكية، لا أنها تدور بين الوجود والعدم. فشدة طهارته يمكن أن يعبر عنها بصيغة المبالغة. إذاً المبالغة من حيثية شدة طهارته.

وأخرى تكون المبالغة من حيثية التنوع في الطهارة، أن يقال هو في حد ذاته طاهر وفي الوقت نفسه هو مطهر لغيره، كما قيل في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾[2] أي طاهر في نفسه مطهر لغيره.

---

[1] الفرقان: 48

[2] الرقان: 48

فعلى كلا التقديرين يصح أن نستعمل صيغة المبالغة.

هذا الشراب الذي لهؤلاء وصفته الآية الشريفة بكونه ﴿طَهُوراً﴾ بعض علماء التفسير ذكر أنه يلوح من الآية الحكم بنجاسة الخمر؛ لأن المقصود من الشراب هو الخمر، فإذا أراد أن يميز خمر الآخرة عن خمره الدنيا، فإحدى المميزات التي ذكرتها هذه الآية أن خمر الآخرة متصف بكونه ﴿طَهُوراً﴾ وفي تمام النقاء مادياً ومعنوياً، مادياً بحيث لا يوجد فيه ما يوجد في خمر الدنيا في كيفية صناعته وما يترتب عليه من أثار، فخمر الدنيا في الأزمنة القديمة كان العنب يداس بالأرجل ويوضع ويدار فيه وتأتي إليه جميع الأوساخ والقذارات ثم يصفى ثم يشرب ثم بعد شربه يتحول إلى بول نجس.

أما شراب الآخرة ليس كذلك، توجد بعض الروايات تذكر أنه يتحول إلى عرق رائحته كالمسك.

أما من الناحية المعنوية، فشراب الدنيا يزيل العقل، وأما شراب الآخرة ﴿لا فيها غَوْلٌ﴾[3] فلا يوجد فيها ما يزيل العقل.

فإذاً الطهور يصح إطلاقه على الشراب، ويستفاد من هذه المبالغة طهارته مادياً ومعنوياً، بل يستفاد من بعض الروايات مطهريته لا مجرد طهارته، كما في الخبر الطويل المروي في الكافي وتفسير القمي بعنوان خبر النوق والجنان، جاء فيه: (... وَعَلَى بَابِ الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِنَّ الْوَرَقَةَ مِنْهَا لَيَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا أَلْفُ رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ وَعَنْ يَمِينِ الشَّجَرَةِ عَيْنٌ مُطَهِّرَةٌ مُزَكِّيَةٌ قَالَ فَيُسْقَوْنَ مِنْهَا شَرْبَةً فَيُطَهِّرُ اللَّهُ بِهَا قُلُوبَهُمْ مِنَ الْحَسَدِ وَ يُسْقَطُ مِنْ أَبْشَارِهِمُ الشَّعْرُ ...)[4] وهذا التطهير من درن الأوساخ المادية ودرن الأوساخ المعنوية من الحسد والغل وما شابه ذلك.

فإذاً هذا الطهور لا يختص بالقذارات المادية، بل هو أعم منها ومن المعنوية.

المحطة الثانية: من لطائف هذا المقطع التي يختلف به عن المقاطع السابقة أن الله تبارك وتعالى أضاف الفعل إليه.

---

[3] الصافات: 47

[4] الكافي (ط - الإسلامية)، ج8، ص: 96

في المقاطع السابقة ﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ ومقطع آخر ﴿وَحُلُّوا﴾ فمن الذي يحلّ لهم؟ وقبل هذه الآية ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُون﴾ وفي آيات سابقة ﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرَا﴾ و﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً﴾ أما هذا المقطع هو الوحيد الذي أضيف فيه الفعل إلى الباري تبارك وتعالى، فقالت الآية: ﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾.

ولعل هذا من أفضل النعم والمكافآت، أن الباري تبارك وتعالى هنا حذف الوسائط، لا بواسطة ولدان مخلدون، ولا بواسطة حور عين، ولا بواسطة خدم وحشم، ولا أن الأبرار بنفسهم يقدمون على ذلك بل ﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من أعلى المكافآت والنعم التي يمكن أن توجه إلى الإنسان.

توجد رواية منسوبة للإمام جعفر الصادق عليه السلام لم أرها في المجاميع الحديثية، لكن جملة من علماء التفسير ذكرها، وذكرها صاحب البحار في تفسير سورة الإنسان، لكن لم يسندها، وإنما قال رووه عن جعفر بن محمد عليهما السلام، الرواية: (يُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ إِذْ لَا طَاهِرَ مِنْ تَدَنُّسٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَكْوَانِ إِلَّا اللَّه)[5] وبتعبير بعضهم بخٍ للشارب والشراب والمسقي، فشراب موصوف في أعلى درجات الطهارة والتطهير، وساقٍ هو ربهم وهو مدبر أمورهم، فيدل هذا على عظمة ورفعة الشارب أيضاً.

فكل ما كان إلى هذه الدنيا الدنية الباري تبارك وتعالى يطهرهم منه، وهذا يتناسب مع الحديث الطويل في الكافي، قبل الدخول الجنة فتصل تدخل إلى الباب تستظل تحت ظل شجرة في جنبها عين تشرب منها كأساً فتصبح لائقاً بالدخول إلى هذه الجنة. هذه مرتبة في غاية العظمة.

المحطة الرابعة: السؤال الذي يأتي إلى الذهن لكل من يقرأ هذه الآيات هو أن إسقاء الشراب تكرر في هذه السورة، ورد فيها ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً﴾ وورد أيضاً ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلا﴾ وهذه الآية التي محل البحث أيضاً ﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾.

فهل هذه الآيات الثلاث تتكلم عن شراب واحد أو هو متعد؟

هناك قرائن متعددة تقتضي التغاير:

---

[5] بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج8، ص: 113

القرينة الأولى: الاختلاف في إسناد الفعل، فالتغيير في المسند إليه الفعل قرينة على التغاير. في إحدى الآيات ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ﴾ أسند الفعل إلى الأبرار ذاتهم، في الآية الأخرى أسند الفعل إلى المجهول ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها﴾ وفي هذه الآية التي محل البحث أسند الفعل إلى الباري تبارك وتعالى.

فالتغاير في الإسناد يقتضي المغايرة.

القرينة الثانية: الوصف.

تارة الشراب مزاجه كافور، وتارة أخرى الشراب مزاجه زنجبيل، وتارة ثالثة الشراب متصل بكونه طهور، فالتغاير في الوصف يقتضي تغاير الشراب.

التكرار لا يؤتى به إلا لهدف، وخلاف القاعدة، خلاف الأصل، فلا يؤتى به إلا بهدف، فغير واضح ما هو الهدف لو كانت الآية محمولة على الشراب ذاته.